واستوفى القافية، فظفر صاحب الترجمة بأشياء تركها فكتب إليه: [من مجزوء الرمل]

قَـدْ أتـى الـفَـضْـلُ عَـلـيْـه حُـلَـلُ الـلَّـفْـظِ مُـوشَّـاه[1]

فتعجب البرهان من سعة دائرته واطلاعه، ثم قال له: أنا واللَّه ما عرفتك إلّا الآن. فقال له: واللَّه وإلى الآن ما عرفتني. وطالت المكاتبة بينهما على هذا المنوال حتى اجتمع من ذلك مجلد.

٦٩

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عبد الهادي ابن صَالح بن عبد اللَّه بن أحمد قَاطِن)

الحبابيّ ثم الثلائيّ ثم الكَوْكَبانيّ ثم الصّنعاني. كان مولده ليلة أربع عشرة محرم سنة ١١١٨ ثماني عشرة ومائة وألف. قرأ في مدينة شبام وحصن كوكبان، وتكسّب بالتجارة في مبادئ عمره بشبام، مع اشتغاله بالعلم وإكبابه على الفنون. ثم أخذ في صنعاء عن السيد العلَّامة هاشم بن يَحْيَى الشامي، والسيد العلَّامة صَلاح بن الحُسين الأخفش، والسيد العلَّامة أحمد بن عبد الرَّحمن الشامي، وطالت ملازمته للثالث، وقرأ عليه في عدة فنون، وبقي في بيته سنين. فعاونه عند الإمام المنصور باللَّه الحُسين بن القاسم بن حُسين ابن الإمام المهدي. وكان السيد المذكور إذ ذاك مُتولِّياً للقضاء الأكبر بصنعاء. فَولَّى صاحب الترجمة القضاء، وجعله من جملة حكامها، فاتفقت حادثة كان بسببها عزل صاحب الترجمة، مع أن الحق معه. ثم لمّا كانت خلافة الإمام المهدي لدين اللَّه العبَّاس بن الحُسين ولّاه القضاء بمدينة ثلاء. ثم جعل إليه ولاية الأوقاف، ثم بعد ذلك اعتقله، وحصلت له مِحَن، وخرب بيته في ثلاء بسبب أن السيد العلَّامة قاسِم بن مُحمّد الكَبسي احتسب عليه إذ ذاك أنه عمره فوق مقبرة. ثم عوّضه اللَّه، فملكه الإمام المهدي داراً عظيمة بصنعاء. وبها أولاده الآن وسائر أهله. ثم بعد اعتقاله حجّ، وبعد أيام ولَّاه الإمام المهدي القضاء الأكبر بمدينة صنعاء واستمر أياماً، وحُمدت مباشرته مع اشتهاره بالعفة والنزاهة وعدم المحاباة في شيء من الأمور، لا لصغير ولا لِكبير. وكان يُكثر الحطَّ والإنكارَ على بعض المتعلقين بأعمال الإمام المهدي، كالفقيه علي الجرافي ومن يشابهه، فما زالوا بالإمام المهدي حتى اعتقله قبل موته بنحو عام. ثم استمر محبوساً إلى أيام مولانا الإمام

(١) مُوَشًّى: مُزَيَّن.

المنصور باللَّه عليّ بن العبَّاس حفظه اللَّه، فأفرج عنه، فخرج إلى بيته، وقد ثقل سمعه، وضعفت قوته، لِعُلوِّ سنّه، ومع ذلك فما زال يقرئ من يطلب القراءة عليه. وكان له شغف بالعلم، وله عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها. وله شيوخ عدة. وقد اختصر (الإصابة) وكتب مجلداً يشتمل على أسانيد الكتب العلمية إلى مصنفيها. وترجم جماعة من رجال الإسناد، وهو في حكم المعجم، وله كتاب آخر ذكر فيه تراجم لأهل عصره. وكان له عناية كاملة بعلم السنّة، ويد قوية في حفظها، وهو عامل باجتهاد نفسه لا يقلد أحداً. واستمر مشتغلاً بنشر العلم مجتهداً في الطاعات حتى (توفاه اللَّه) في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف. وله أولاد، أعلمهم عبد الحميد بن أحمد، وله عرفان كامل في علوم الاجتهاد مع سمتٍ ووفور عقلٍ، وجودة فهم، وقوة إدراك، وهو على طريقة والده في العمل بالأدلة، و(مولده) حسبما ذكر لي بخطّه سابع عشر شهر جمادى الأولى سنة ١١٧٥ خمسٍ وسبعين ومائة وألف. وهو الآن مكبٌّ على طلب العلوم، مشتغلٌ بالنظر في أمر معاشه ومعاده، مقبلٌ على شأنه قد شغلته نفسه عن غيره.

ومن شعر والده المترجم له حسبما رأيت ذلك بخطّه منسوباً إليه: [من البسيط]

يا سَارياً لِسُرَى الحُسنِ كم أسَرَتْ ... عُيونهُ مِنْ كَميٍّ حارَ في حَوَرِهْ[1]

نَوافثُ السّحرِ منها قَيّدتْهُ ضُحىً ... واللَّه أعلمُ ما كانَ انْتِها خَبَرِهْ

فَاعْقِلْ قَلوصَكَ واعقلْ من سَريْتَ لهُ ... فإنه الشمسُ تَعْشو العَيْنُ مِنْ نَظَرِهْ[2]

٧٠

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عليّ بن مُربع بن حَازم ابن إبراهيم بن العبَّاس المصريّ الشافعيّ الشيخ نجم الدين ابن الرّفعة)[3]

ولد سنة ٦٤٥ خمسٍ وأربعين وستمائة. وأخذ عن الضياء جَعْفَر ابن الشيخ

---

(١) الكَمِيُّ: البطل الشجاع التامُّ السلاح. الحَوَرُ: شدّة بياض بياض العين مع شدّة سواد سوادها.

(٢) عقل البعير: ضمَّ رسغ يديه إلى عضده، وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً. القلوص: الناقة الفتية القوية. تعشو: يضعف بصرها.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٢٨٤؛ شذرات الذهب: ٦/ ٢٢؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٦٢؛ كشف الظنون: ٤٩١، ٨٨٦؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٠٨، ٥٤٩؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٣٥؛ الأعلام: ١/ ٢٢٢.